قيمة الفكر الخلدوني بين مؤيديه وخصومه (دراسة نماذج)

The value of Khaldouni thought among supporters and opponents (Study models)

د. سعودي أحمد

جامعة عمار ثليجي – الأغواط (الجزائر)

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية والحضارة

a.saoudi@lagh-univ.dz

تاريخ الارسال: 06-02-2021 تاريخ القبول:07-04-2021 تاريخ النشر: 31-12-2021

الملخص:

يعتبر عبد الرحمن ابن خلدون واحد من أعلام الفكر الإسلامي والإنساني، نتيجة ما قدمه للفكر البشري من تراث هام، أكثر ما يتجلى منه كتابه الشهير: «المقدمة» حيث اعتمد فيه منهجا تحليليا نقديا و تاريخيا بديعا نجح في التأسيس لمناهج وعلوم جديدة، وعلى الرغم من كل هذا لم يسلم ابن خلدون وأعماله من التحليل و النقد من طرف العديد من الباحثين الذين قدموا طروحات وضعت أعمال ابن خلدون محل شك ومراجعات فكرية ، و في هذا الصدد ارتأينا إلى أن نبرز بعض آراء الباحثين الأكاديميين في نظرة نقدية لابن خلدون وأهم أفكاره ما بين مؤيد ومعارض للفكر الخلدوني.

الكلمات المفتاحية : ابن خلدون ، الفكر ، قيمة ، معارضون ، مؤيدون

Abstract

Ibn Khaldun is considered one of the pioneers of human thought, as a result of the important legacy he presented, which is most evident in his book: “Introduction” in which he adopted an analytical,and historical legacy.

All this he did not escape Ibn Khaldun and his works of analysis and criticism by many researchers who made propositions that placed Ibn Khaldun's works under suspicion and intellectual reviews.

Key words:

Ibn Khaldun, thought, value, opponents, supporters

*المؤلف المراسل: سعودي أحمد، الإيميل: a.saoudi@lagh-univ.dz

المقدمـــة:

يعتبر أهل الفكر والثقافة أن عبد الرحمن ابن خلدون واحد من أبرز أعلام الفكر البشري في كل العصور، وهذا بفضل أعماله وكتاباته الخالدة، ولعل أكثرها شهرة وإثارة كتابه: «المقدمة» وتاريخه المعروف ب : «كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر » حيث تميز ابن خلدون باعتماد منهجا تاريخيا رائدا في حينه ومتميزا بين أبناء عصره ، اعتمد على التحليل والنقد والتركيب وغيرها من الأدوات ، ما جعل الكثير من أهل الاختصاص غربا وشرقا يجعلون منه رائد المناهج الحديثة ومؤسسا أساسيا لعلم الاجتماع والعمران ، وعلى الرغم من كل هذا وضع ابن خلدون وأعماله في وقتنا الحالي على طاولة النقد والتحليل من طرف مجموعة من الباحثين المعاصرين الذين وصلوا إلى آراء وانتقادات وضعت أعمال ابن خلدون موقع شك وتدقيق.

وهو ما يعتبر شيئا طبيعيا مع تطور العلوم والمناهج لاسيما في العلوم الإنسانية والاجتماعية والكثير من المراجعات للفكر الوسيط والعصور الحديثة ، في ظل التطور الهائل في مجالي التكنولوجيا والبحث العلمي ، وسنستعرض في بحثنا هذا نماذجا من طرفي المعادلة، أي المؤيدين والمختلفين مع الفكر الخلدوني ، مبرزين أراء كل طرف وشرحا لمواقفهما، وهل ينفي هذا الانتقاد ملمح الإبداع وأسبقية العصر التي نادى بها الكثير بالنسبة للعلامة ابن خلدون وفكره ؟.

1- موقف بعض المنتقدين لفكر بن خلدون:

سعت الكثير من البحوث والكتابات إلى تحليل أهم المآخذ و الانتقادات التي وجهت إلى فكر ابن خلدون من بعض المفكرين العرب والأجانب في أربعة أبعاد رئيسية و هي: مقولة العرب عند ابن خلدون، و نظرية العصبية، و منهج ابن خلدون في الكتابة التاريخية، و نظرية الدولة ونشوئها واستمرارها واندثارها، في محاولة بيان المنطقي و غير المنطقي من هذه المآخذ بردود موضوعية واعتمادا على نصوص من التراث الفكري للعلامة ابن خلدون، فقد كان بعضها منطقياً هدفه الإصلاح و بعضها تجن و تعد هدفه النيل من الإنجازات الفكرية العربية

و الإسلامية، ذلك أن كثير من الانتقادات التي وجهت لابن خلدون تعود –في الغالب– إلى المنهج المتبع في العصر الذي عاش فيه في القرن الرابع عشر و الذي لا يلتزم به المفكرون بتحديد المصطلحات و معانيها، و إنما يجب أن تفهم كما وردت في السياق، لذا يجب أن ننظر إليها من زاوية أنها كتبت قبل سبعة قرون، وفيما يلي عرض لبعض المنتقدين للفكر الخلدوني

1-1- موقف علي أومليل[1] :

نوقشت خلال شهر فبراير 1977 م في باريس رسالة دكتوراه، ، نشرها صاحبها الدكتور " علي أومليل "، بالعربية تحت عنوان «**الخطاب التاريخي – دراسة منهجية ابن خلدون** » حاول فيها بكل ما يستطيع من تحليل وإسقاط فكري تجريد ابن خلدون من كل أشكال الريادة في رأيه ومروياته ومنهجه، حيث أن أومليل خلص إلى أن جميع الأحاديث في غير موضعها، وكثير ما حاول بعضهم التقريب بين فلسفة التاريخ في المقدمة وبين الفلسفات التي ظهرت بعدها في الفكر الغربي وأن هذا منافي للحقيقة، ليخلص إلى أن ابن خلدون كان رائدا في هذا المجال، كما كان رائدا في مجال علم الاجتماع، إلا أن قيام فلسفة التاريخ بمعناها الدقيق أي تلك الطريقة العصرية في التاريخ بصفة معطيات موضوعية، وكعنصر فاعل في التفكير والمبادئ المحركة له ولغاياته، وهي مسألة مرتبطة تاريخيا بتطور الفكر الغربي، وخاصة منـذ القرن 18 م وأن ما وصل إليه الغرب لا يأتي بالضرورة وفق منهج ابن خلدون في اختلاف المنطلقات والآليات المنهجية ، وعليه فإن أومليل أبقى عن ريادة ابن خلدون لفلسفة التاريخ ولكنه نفى عنه التعمد في نشأتها وتأصيل مناهجها ،ولم يكتف أومليل بهذا، بل لاحق ابن خلدون في علم الاجتماع قائلا "" وهناك من يؤكد تأكيدا جازما أن ابن خلدون هو مؤسس العلوم الإنسانية والاجتماعية، وخالق التاريخ العلمي وعلم الاجتماع، كذلك أصبح من الرائج القول بأن علم العمران الخلدوني، هو نـفسه السوسيولوجيا (علم الاجتماع)، وهنا أيضا ينبغي أن نذكر بالعلاقة بين ميلاد السوسيولوجيا بالمعنى المحدد لهذا العلم في القرن

الماضي وبين الثورة الاجتماعية التاريخية ، التي قامت بها الطبقة الوسطى، في الغرب" مما يعني استحالة الجمع بين ابن خلدون وعلم الاجتماع المعاصر[2].

أما دارسة ابن خلدون لموضوع " العرب" و هذا ما نجده في معظم فصول المقدمة، فبالرغم من أن ابن خلدون نقل إلينا ما كان يعيشه ويراه في واقعه إلا أن أومليل اتهمه بالعداوة للعرب وهذا في قوله " العرب لا يتغلبون إلا على البسائط"، "العرب إذا تغلبوا على الأوطان أسرع إليهما الخراب"، العرب أبعد الأمم عن سياسية الملك " ، وإذ اشتهر ابن خلدون بمُقارَبة مسألة العصبية فى المجتمع القبلى الإسلامي مقاربة ديالكتيكية جدلية بعبارات اليوم، مُحدِثا بذلك ثورة منهجية فى النظرة إلى التاريخ، وممثِلا أيضا على حد تعبير المفكر على أومليل بـ«أنه جعل التاريخ خبرا عن الاجتماع الإنساني الذى هو عمران العالَم ـ أي تاريخ هذا العمران نفسه ـ والذى يقضى من جهة بوجود وازع يدفع البشر بعضَهم عن بعض، فيكون ذلك الوازع واحدا منهم، يكون له عليهِم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان وهذا هو معنى الملك» كما يقضى هذا العمران أو اجتماع البشر من جهة ثانية، بوجود العصبية، لأن الوجود وحياة البشر قد تتم «بما يفرضه الحاكم لنفسه، أو بالعصبيةِ التي يقتدر بها على قهْرهم وحمْلهم على جادته»، فالملك والعصبية، والتغلب والدولة، مفاهيم مترابطة من ضمن نظرية ابن خلدون فى العمران وقوانينه، بحيث يحصل الملك بالتغلب، ولا يقوم هذا الملك والدولة إلا «بالقَبيل والعصبية» و«التعصب للنسب» لأن العصبية إنما تكون بالالتحام بالنسب والشرف والدين ،ما يعنى أن ثورة ابن خلدون المعرفية والمنهجية فى دراسة التاريخ أفضت إلى أن يصبح العمران البشرى هو الموضوع الجديد لعلم التاريخ، على «أساس واقعة اجتماعية، كانت طاغية ملموسة فيعصره، واقعة الرابطة العصبية»[3]، مما يجعله يرجه غلبة توينبي في تأصيل فلسفة التاريخ عن سابقه

1-2- موقف طه حسين :

أعد طه حسين أطروحة دكتوراه في العقد الثاني من هذا القرن كتبها بالفرنسية عن فلسفة ابن خلدون الاجتماعية[4] وقد اعتمد فيها على مجموعة من الأفكار شديدة النقد لما كتبه ابن

خلدون في العديد من القضايا، كتوصيفاته للعرب والتي يرى طه حسين أنه أي– ابن خلدون– قصد بأقواله تلك تحقير العرب والنيل من إنجازاتهم مما جعله يقرر بأنه الم تكن سوى حملة خاطئة في حقهم [5].

وقد جاءت مساهمة طه حسين رائدة في هذا المجال، وإن كانت باللغة الفرنسية واعتماداً على مصادر فرنسية في معظمها، فشابها بعض الاضطراب في فهمه لمنهج ابن خلدون وغاية "مقدمته" حين اعتبر أفضل ما قدّمه، ليس وضعه لأسس علمِ اجتماعٍ، ومنهجٍ في فلسفة التاريخ الحضاري، ومبادئ التربية وتخطيط المدن، بل في مكان آخر، حيث رأى "أن طرافته تعظم حين يتكلم في المسائل السياسية"، وفي انفراده "في فصل السياسة عن الأخلاق وعلم الكلام والفقه بعد أن كانت إلى عهده ممتزجة بهما[6]."

هذه الرؤية إفقار لصاحب "المقدمة"، وغمط لحقه في ابتداعه لعلم جديد ولأول مرة، كانت تتوفر منه شظايا وملحوظات جزئية قبله، إلا أنه ابتكر منهج هذا العلم ونظم مسائله وأطلق عليه اسم "دراسة العمران البشري والاجتماع الإنساني"، وجاء بأكثر مبادئ هذا العلم المنهجية أهمية على الإطلاق؛ أي "بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته". وهو ما يعني ظهور أول نبأة عن المنهج المادي في الفكر العربي بشكل جليّ، وأول نبأة عن ظهور منطق جدلي ينقض منطق أرسطو الشكلي، أي اعتمد منطق الصيرورة بتعبير علي الوردي، أو المنطق "الديالكتيكي" كما هي تسميته في الأزمنة الحديثة ، هذا هو الأساس الفلسفي الذي يقف عليه مبنى "مقدمة" ابن خلدون، وهو ما فات طه حسين حتى وهو يختار من كل ما أنجزه صاحب "المقدمة" الجانب الذي سمّاه "الفلسفة الاجتماعية."

كما ويضيف طه حسين بأن ابن خلدون ينعي على العرب .. بادئ ذي بدء عجزهم التام عن التغلب إلا على البسائط غير أنه نسي أن العرب قد فتحوا أيضا فارس واستقروا هناك أكثر من قرنين. ثم يتهمهم بأنهم ليسوا أهلا لتأسيس الدولة إلا من طرف أثر ديني قوي والواقع أن فكرة أو غاية سامية دينية كانت حتما لتبث روح النشاط والحماسة في العرب وتمدهم بذلك

التطور الجميل إلى الحضارة، ويتعجب كيف أن ابن خلدون في شق آخر يكثر الكلام عن حضارة العرب اليمنيين الأقدمين التي كثيرا ما يذكرها بالإعجاب [7].

ويضيف طه حسين بأن ابن خلدون يقول إن العرب جاهلون ب سياسة الملك[8] ويرد طه حسين بقوله « من الصعب أن نناقش رأيا كهذا ونحن لا ندري ماذا يقصد بالسياسة ،» [9] أما فيما يتعلق بالبداوة فإن طه حسين يرد على ابن خلدون بقوله: «ألا يكفي ابن خلدون أن تلك القبائل البدوية التي خرجت من القفار والتي كان حتى خروجها بعيدا عن كل مجمع متمدن، قد وصلت إلى أن تفرض دينها ولغتها على قسم عظيم جدا من العالم الروماني والفارسي القديم ،وإضافة إلى ذلك ينتقد طه حسين ابن خلدون في أسلوبه في كتاب المقدمة ويحمل عليه حملة شديدة، ويقول أن القارئ للمقدمة يتضح له بوضوح أن أسلوبها مضمحل لا ينطق إلا على الديباجة وحدها .

1-3- موقف محمد عبد الله عنان :

له كتاب تحت عنوان " ابن خلدون حياته و تراثه الفكري " وصف فيه ابن خلدون بالكبرياء و الطمع وحب التقلب و شغف الدس، وانتهاز الفرص، ثم هناك الجحود و نكران الصنيعة، ويجرد محمد عبد الله عنان ابن خلدون من عروبته، ووصفه بالبربري، مما جعل ابن خلدون يحقد على العرب و يهينهم، و يعني بهم سكان الجزيرة العربية و ليس الأعراب و البدو، و ذلك في قوله: «في أن العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب» وقوله «العرب أبعد الأمم عن سياسة الملك » و يشير ابن خلدون أن العرب حينما تغلبوا على العراق والشام تقوض عمرانها و أن حملة العلم في الإسلام كان أكثر من حملها هم العجم ،فكان أن رد محمد عبد الله عنان بقوله :" بما أنه من الواضح جدا في أنه لم يقصد العرب الأصليين وفي مقدمتهم النبي عليه الصلاة والسلام العربي والصحابة وسائر سكان الجزيرة العربية[10]، و يضيف عنان أن أسلوب مقدمة ابن خلدون تمتاز بروعة أسلوبها الأدبي وهي مثل أعلى للتفكير

الناضج و الابتكار الفائق، لكنه لا ينكر أن أسلوبها يتخلله الكثير من الأخطاء، و يعيد السبب في ذلك إلى نشأة ابن خلدون البربرية و تثقفه بآداب المغرب و الأندلس [11].

1-4- محمد عابد الجابري[12] :

لعابد الجابري كتاب يحمل عنوان « فكر ابن خلدون العصبية و الدولة » ينحو فيه للتأكيد أن ابن خلدون كان متعلقا بالتاريخ و عليه فإن مدى تمكننا من استيعاب الفكر الخلدوني بكليته، في ترابطه و تماسكه يتوقف فهمنا للتفسير الذي يقترحه للتاريخ الإسلامي، أو على الأقل للعناصر الأساسية التي يقوم عليها مثل هذا التفسير[13].

ومنه فإن الاحتفاظ للفكر الخلدوني بهويتـه الخاصة ، بطابعه الخاص، ضرورة تفرضها المنهجية العلمية، ثم يضيف محمد عابد الجابري أن صاحب « المقدمة »لم يعمد إلى كتابة التاريخ، بل إلى إعادة كتابته فقط، لمجرد الصدفة أو بدافع التسلية أو فقط، من أجل تسجيل أخبار الدول فـ«نسقها نسقا » بل لقد كان الدافع له إلى إعادة كتابة التاريخ، والانكباب على تفسير حوادث، وتعليل منعطفاته ،أكثر من ذلك وأعمق، لقد اندفع إلى التاريخ يستفتيه، والى الأحداث الماضية يستنطقها تحت الضغط الحاضر الذي عاشه، حـاضره الشخصي وحاضر دول الإسلام في عصره ، لقد عانى تجربة مرة، ولكنه بدلا أن يبقى سجين هذه التجربة، راح يبحث في تجربة العصر عما قد يشرحها أو يبررها، وهذه بدورها دفعته إلى التاريخ لأنها ليست في واقع الأمر إلا امتداد التجربة الحرة، تجربة الحضارة العربية الإسلامية [14].

غير أنه و من الإشارات الأولوية التي يقف عندها محمد عابد الجابري، ويراهن عليها في قراءته لابن خلدون، هي المعارضة الشديدة ،والمصادرة القوية والقول الصريح الرافض لمن يقول بان ابن خلدون سبق زمنه وتخطى عصره ليكون هو الرائد و المؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع[15] ، قبل عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركايم، لأن هذا التصريح من شأنه أن يفوت الفرصة لاستكشاف وإظهار الإشكالية العامة والسياقات التاريخية التي كانت ثاوية وحاضرة بشكل مضمر وقوي في النص والمتن الخلدوني لاسيما في كتابه المشهور المقدمة[16].

ومن العادة المألوفة أن المفكر محمد عابد الجابري اختار التحفظ من إدراج ابن خلدون مؤسسا لعلم الاجتماع ،لان قوام منهجه وأساسه هو البحث في التاريخ وفلسفته بصفة عامة ، وفي علم العمران البشري بصفة خاصة من حيث هو "علم القانون في تمييز الحق من الباطل في الأخبار"[17] .

و في مجمل الانتقادات التي تعرض لها الفكر الخلدوني نجد الأمر يتكرر لدى البعض من المفكرين الغربيين من أمثال:

1-5- البارون دي سلان[18]:

ألحق بترجمة للمقدمة معجما لألفاظها، و فيما يتعلق الفصل الذي عنوانه «فصل في أن جيل العرب في الخلقة طبيعي «يقرر أن لفظ العربي الذي استعمله ابن خلدون و قد عنى به البدو و الرحل، و تلك هي عبارته الفرنسية Les arabes d'iben khaldoun sont les arabes nomades و كذلك ذهب المؤرخ التركي **جودت باشا** ، فترجم كلمة العرب كما جاءت في عناوين فصول المقدمة بـ «قبائل عربية » أو القبائل العربية [19].

أما المؤرخ الفرنسي روبار برونشفيك[20] فقال : " كل متصفح للتاريخ ابن خلدون يعلم علم اليقين أنه لا يتفوق حتى في تاريخ المغرب عن غيره، بل نحن نجد في غيره أضعاف ما نجد فيه [21] وهذا يعني أن ابن خلدون لا يستحق كل ذلك الثناء الذي تلقاه من طرف بعض المفكرين الغربيين حسب برونشفيك و يقول فيه المؤلف هيوارت في كتابه (الأدب العربي) " أن جهل ابن خلدون التام بتاريخ الجمهوريات التي قامت في اليونان و بتاريخ تكوين الإمبراطوريات الرومانية ينقص من قيمة أفكاره عموما [22] .

2- موقف المؤيدين للفكر الخلدوني :

بعد أن تعرضنا لبعض الكتاب والمفكرين الذين وجهوا سهام النقد والتشكيك في قيمة الفك الخلدوني والذين يشكلون نسبة محدودة ممن اهتم بهذا المجال ، فإننا نجد عدد أكبر وأهم

ممن هم معجبون بابن خلدون وأفكاره وأسبقيته في مجال فلسفة التاريخ ، وسنعرض لبعض هؤلاء :

2-1- أرنولد توينبي[23]:

كفيلسوف للتاريخ فإننا نجد تقاربا كبيرا بين توينبي وابن خلدون مع وجود نقاط اختلاف معينة ، يفترضها تغير الأزمان والأحوال، و من أهم الأفكار المشتركة بين الطرفين دور عامل التحدي في نشأة الحضارات، حيث يؤكد توينبي أن العامل الايجابي الذي يسهم فعلا في نشأة الحضارات ينحصر في عامل التحدي و الاستجابة فالظروف القاسية لا السهلة ومصاعب الاستعمار و الغزوات و غيرها هي التي تثير قيام الحضارة [24]، وأكد توينبي في أكثر من مكان أسبقية ابن خلدون قائلا: " قد أدرك و تصور و أنشأ فلسفة التاريخ ،و هي بلا شك أعظم عمل من نوعه خلقه أي عقل في أي زمان و مكان" [25] وهذا يقر طبيعة الفكر الفلسفي في مجال التاريخ لدى ابن خلدون عكس الكثير من الغربيين ، كما كتب عنه في سياق آخر " أنه لم يستلهم أحد من السابقين و لا يدانيه أحد من معاصريه، بل لم يثر قط الإلهام لدى تابعيه مع أنه في مقدمته قد تصور وصاغ فلسفة التاريخ تعد بلا شك أعظم عمل من نوعه" [26] ، ولاشك أن شهادة واعتراف توينبي تعد من الوزن الثقيل نظرا لقيمة توينبي في حقل التاريخ وفلسفة التاريخ في المدارس المعاصرة.

2-2- جورج بول سارتون[27] وآخرون :

كان جورج بول سارتون شديد الإعجاب بابن خلدون فوصفه قائلا :" لم يكن أعظم مؤرخي العصور الوسطي شامخا كعملاق بين قبيلة من الأقزام فحسب بل كان من أوائل فلاسفة التاريخ سابقا ميكيافلي و بودان وفيكو وكانط وكورنو"[28] أما **غاستون بوتول[29]** في كتابه "عن ابن خلدون فنجده يصرح بقوله " إننا قبل أن نحكم على أخلاقه وقيمه ونتهمه بسرعة التقلب وعدم الولاء يجب أن ينظر له في إطار الظروف التي عاش فيها " [30].

أما **روبرت فلينت**[31] فيقول عنه، في كتابه الضخم تاريخ فلسفة التاريخ : "أنه لا العالم الكلاسيكي ولا المسيحي الوسيط قد أنجب مثيلا له ففي فلسفة التاريخ ، هناك من يتفوق عليه

كمؤرخ حتى بين المؤلفين العرب، أما كباحث نظري في التاريخ، فليس له مثيل في أي عصر أو قطر حتى ظهر فيكو بعده بأكثر من ثلاثة قرون، لم يكن أفلاطون أو أرسطو أو أوغسطين أندادا له ولا يستحق غيرهم أن يذكر إلى جانبه انه يثير الإعجاب بأصالته وفطنته بعمقه و شموله، لقد كان فريدا ووحيدا بين معاصريه في فلسفة التاريخ".[32]

أما من بين الباحثين والمفكرين العرب الذين الذين أبدوا إعجابهم بالفكر الخلدوني وصاحبه فلنا أن نذكر في رأيه في العرب:

2-3- ساطع الحصري[33]:

لديه كتاب بعنوان "دراسات عن مقدمة ابن خلدون " تبنى فيه الكثير من أفكار وطروحات ابن خلدون وقال بأن بعض من يعارض ابن خلدون بشدة في أفكار معينة ويؤمن بصحتها دون أن يخضعها لميزان العقل و المنطق و يعرضها للنقد و التمحيص، فقد أدى ذلك إلى تأويل افكار ابن خلدون و إخضاعها إلى النظريات المعاصرة وهذا أمر خاطئ والجدير بالملاحظة أن كلام ابن خلدون واضح و مع ذلك نرى كثيرا من الدارسين له يتجهون اتجاهات مختلفة في فهمهم لأفكاره و كل واحد يحكم على أرائه من زاوية خاصة و عبارات معينة، و هذه العناوين الخاصة بالعرب أغضبت الكثير منهم فنقموا على ابن خلدون ووجهوا إليه مختلف التهم و مازالت تثير انفعال بعض الناظرين إليها نظرة سطحية أو الذين يمقتون النقد الذاتي و لو كان نقدا علميا، أما ابن خلدون فإنه كان يصف الأمور كما هي و كما لاحظها بدون زيادة أو نقصان أينما و جدت في العرب أو في غيرهم و هذا هو أسلوب البحث العلمي الصحيح .

2-5-جميل صليبا[34]:

أكاديمي عربي صاحب كتاب " تاريخ الفلسفة العربية " فهو يرى أنه مهما كتب للتعريف بابن خلدون و دراساته و فلسفته فلن نستوفي ما حسبناه كافيا للتعريف به" ويضيف بأن فلسفة ابن خلدون وضعية كثيرة العناصر، متنوعة المسائل، فلعلنا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا: أن كلام ابن خلدون على علم التأريخ و علم العمران البشري لا يدخله في عداد مؤسسي فلسفة التاريخ

فحسب، بل يدخله في عداد مؤسسي علم الاجتماع، و علم الأنتربولوجيا الحضارية، و قد لفت مقدمته أنظار العلماء الأوروبيين، وأعجبوا بها إعجابا شديدا" [35].

و يرى جميل صليبا بأنه لا يعيب مقدمة ابن خلدون أنها مشتملة على بعض الأخطاء العلمية ، "لأن كل عالم ومفكر يشترك بوجه عام مع معاصريه في معظم أخطائهم ، و لا يمتاز عليهم إلا ببعض الآراء التي أبتكرها وبعض الحقائق التي تم له الكشف عنها، وقيمة المؤلف إنما تقاس بما أضافه إلى الفكر البشري من أراء جديدة، و نصيب ابن خلدون من هذه الآراء، أعظم من نصيب غيره من فلاسفة العرب المتقدمين" [36]، إضافة إلى ذلك يرى أن مقدمة ابن خلدون بمثابة تفلسف في التاريخ العرب و الإسلام[37].

و بالتالي فابن خلدون استطاع أن ينفذ إلى الظواهر الاجتماعية كاقتصادي و فيلسوف راسخ مما يحملنا بحق على أن نرى في أثره من سمو النظر و النزعة التقدمية ما لم يعرفه عصره[38].

والقول الوحيد هنا، هو أن صاحب المقدمة الذي عاش في القرن الرابع عشر للميلاد قد سبق غيره من العلماء إلى وضع حجر الأساس في فلسفة التاريخ و علم الاجتماع، فهو الرائد، و هم التابعون، ولا يعاب عليه أنه لم يستطع أن يستوفي جميع مسائل هذا العلم، وأنه لم ينوه لموضوعه و منهجه إلا على سبيل الإجمال، لقد كان يرجو أن يأتي من بعده علماء يواصلون أبحاثه ، فلم تتحقق أماله إلا على أيدي الأوروبيين .

و مع ذلك فان مقدمته أثرت في عقول ساسة الشرق تأثيرا عميقا، و لو لم يدخل العالم العربي بعد عصر ابن خلدون في سبات عميق، لاتجهت الفلسفة العربية بتأثيره اتجاها وضعيا جديدا بعيدا عن النظريات الغبية التي سيطرت عليها خلال العصور السابقة[39].

خاتمـــة :

كانت هذه مجموعة من الأفكار والشخصيات التي انقسمت بين مؤيد وناقد للفكر الخلدوني ، لكن هذا الجدل في حد ذاته يبرز لنا أهمية إبن خلدون في التراث الفكري الإسلامي والعالمي ، وأن أفكاره وكتاباته كثيرا ما كانت مثارا للتحليل والدراسة ، وأي نقد لأفكاره لم يكن بهدف

الانتقاص منه إلا لدى بعض رواد المدارس الكولونيالية أو الإستشراقية الحاقدة على الفكر العربي – الإسلامي ورموزه ، وغيرة من أن تنسب بعض الفضائل كتأسيس علم الاجتماع لهذا العالم الكبير.

وفي الأخير يمكن لنا التأكيد أن ابن خلدون عندما عاش تلك الأحداث التاريخية و السياسية التي صادفته في عصره لم يكن مجبرا على تقديم تلك الأعمال و إبداع تلك العلوم و إيصالها لنا وشرحها إلا لكونه كان مؤمنا بأهمية الفكر والاجتهاد وأنه عنصر من أهم مقومات الحضارة الإسلامية .

ولنا أيضا أن نخرج بمجموعة من الاستنتاجات العامة الخاصة بما تم مناقشته من فكر ابن خلدون لدى النماذج السابقة:

- إن حياة ابن خلدون و عصره ، أي الأوضاع السياسية و الاجتماعية التي عاشها تثبت أن ابن خلدون لم يأت بتلك الأفكار من نسج خياله و إنما كان واقعا تفاعل معه واجتهد في تفسيره وتحليله.
- أبرز ابن خلدون واقع الإنسان و مجتمعه و تاريخه من خلال ما قدمه لنا في كتاب المقدمة، فوضح لنا أهم التأثيرات الأساسية في مجتمعنا و اعتمد بذلك على منهج تاريخي علمي و هذا يعتبر معجزة في عصره.
- أبدع ابن خلدون علما قائما بذاته و هو نتاجه العلمي الأول ، ألا و هو التاريخ الإجتماعي والحضاري و أثبت لنا بمنهج تاريخي محكم بأنه يمثل أهمية كبيرة في حياة الإنسان و المجتمعات.
- أعتمد ابن خلدون على الملاحظة العلمية الثاقبة و درس لنا أجناس البشر و ضرورياتهم و أنتج بذلك ما يسمى بعلم العمران البشري.
- أعتمد ابن خلدون على فكرة العصبية كأساس لعلم التاريخ و العمران البشري و بناء الدولة.

- قدم تصورا عن نشأة الدولة و هي في الأغلب تنشأ عن عصبية و بين لنا أنواع الدول.
- رأى بأن للدولة عمرا و هي تمر بثلاثة أجيال كعمر الإنسان.
- صنف ابن خلدون الملك إلى ثلاثة أصناف و لاحظ أن للسياسة أنواعا و أبرزها و شرحها.

و هكذا فان ابن خلدون ترك بصماته واضحة في الفكر البشري عامة والعربي الإسلامي بشكل خاص، وستضل أفكاره وكتاباته مثارا للنقاش والجدل، بما يكون في حد ذاته إثراء للفكر الإنساني.

الهوامش:

[1] - (مواليد 25 ديسمبر 1940) فيلسوف ومفكر وناشط حقوقي ودبلوماسي وسياسي مغربي ، من أبرز كتاباته
"الخطاب التاريخي؛ دراسة لمنهجية ابن خلدون" سنة 1979.

[2] - ماجد الحمد ،الفكر الخلدوني في ضوء المناهج الحديثة ، مجلة فكر وإبداع ،عدد22 ،مارس-أفريل 1999،صص12-13.

[3] ينظر مقال: رفيف رضا صيداوي ،محو العصبية قبل محو الأمية على موقع مؤسسة الفكر العربي على الرابط : https://arabthought.org/en/researchcenter/ofoqelectronic-article-details?id=866&urlTitle=%D9%85%D8%AD%D9%88-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B5%D8%A8%D9%8A%D9%91%D8%A9-%D9%82%D8%A8%D9%84-%D9%85%D8%AD%D9%88-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D9%91%D9%8A%D8%A9
تاريخ الولوج :09-11-2020، على الساعة 14:10.

[4] في عام 1917، قدم طه حسين في باريس أطروحة عنوانها "فلسفة ابن خلدون الاجتماعية: تحليل ونقد" لنيل إجازة دكتوراه من جامعة السوربون، وظلت هذه الأطروحة حبيسة اللغة الفرنسية حتى عام 1922، إلى أن ترجمها إلى العربية محمد عبد الله عنان المحامي، ونشرتها لجنة التأليف والترجمة والنشر عام 1925.
حتى تاريخ صدور هذه الأطروحة في اللغة العربية، كانت العناية الجادة بابن خلدون ومقدمته الشهيرة معروفة في اللغتين الألمانية والفرنسية منذ مطلع القرن التاسع عشر، مع ظهور دراسة للألماني شولتز في عام 1812، الذي أطلق عليه لقب "مونتسكيو العرب"، وترجمت المقدمة إلى الفرنسية بعد هذا التاريخ على يد دوسلان.

[5] مصطفي محمد الشكعة ،الأسس الإسلامية لفكر ابن خلدون ونظريات ،دار المصرية اللبنانية،(1406هـ 1986م) ،(1408هـ 1988 م).، ص168.

[6] محمد الأسعد ،فلسفة ابن خلدون لطه حسين، ينظر المقال على الرابط : https://www.alaraby.co.uk/%D8%B5%D8%AF%D8%B1-%D9%82%D8%AF%D9%8A%D9%85%D8%A7%D9%8B-%22%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D8%A9-%D8%A7%D8%A8%D9%86-

%D8%AE%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%86%22-%D9%84%D9%80-%D8%B7%D9%87-%D8%AD%D8%B3%D9%8A%D9%86
تاريخ الولوج :12-11-2020، على الساعة 18:22.
[7] طه حسين ، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية ، ترجمة، تحقيق: محمد عبد الله عنان. ،ط1 ،دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة،2006،ص ، 115 .

[8] نفسه ، ص 112 ، 115.
[9] نفسه ، ص 155.
[10] محمد عبد الله عنان ، ابن خلدون حياته و تراثه الفكري ، ط3، لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، بيروت ، 1999،ص 138.

[11] ساطع الحصري ، المرجع السابق، ص 605.

[12] محمد عابد الجابري (27 ديسمبر 1935 بفكيك، الجهة الشرقية - 3 مايو 2010 في الدار البيضاء)، مفكر وفيلسوف مغربي، له 30 مؤلفاً في قضايا الفكر المعاصر، أبرزها "نقد العقل العربي" الذي تمت ترجمته إلى عدة لغات أوروبية وشرقية. كرّمته اليونسكو لكونه "أحد أكبر المتخصصين في ابن رشد.
[13] محمد عابد الجابري ، فكر ابن خلدون ، العصبية والدولة ،مركز دراسات الوحدة العربية ،ط3، بيروت ، لبنان ،1997، ص385.
[14] نفسه ، ص 386.

[15] هذا الموقف قال به الكثير منهم الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه علم الاجتماع إذ صرح لقوله: " فمن بحوث ابن خلدون في (المقدمة) يتألف إذن علم مستقل وقد سماه ابن خلدون علم العمران البشري أو الاجتماع الإنساني وهو العلم الذي نسميه السوسيولوجيا أو علم الاجتماع، لأن قوام هذا العلم هو دراسة الظواهر الاجتماعية للكشف عن القوانين التي تخضع لها" ينظر:علي عبد الواحد وافي ، علم الاجتماع ،دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة ،2016 ،ص69.
[16] محمد بن عمر ، محمد عابد الجابري قارئا لابن خلدون: قراءة في كتاب: فكر ابن خلدون العصبية والدولة ،مجلة حكمة الإلكترونية ، على الموقع :
https://hekmah.org/%D9%81%D9%83%D8%B1-%D8%A7%D8%A8%D9%86-%D8%AE%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B5%D8%A8%D9%8A%D8%A9-/%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9
تاريخ الولوج 06-10-2020 على الساعة 15:22.
[17] نفسه.
[18] ماك جوكان دي سلان وشهرته البارُون دي سْلان (1216 - 1296 هـ / 1801 - 1879 م) هو مستشرق فرنسي، من أصل إيرلندي ، تتلمذ على دي ساسي، ومن تلاميذه جان فرانسوا شامبليون ،من أبرزآثاره: نشر ديوان امرئ القيس، وتاريخ ابن خلدون. وفهرس المخطوطات الشرقية الموجودة في خزانة باريس الوطنية.
[19] مصطفى الشكعة ،المرجع السابق ، صص 171-172.

مؤرخ فرنسي معاصر تخصص في تاريخ المغرب الإسلامي.[20]
[21] محمد المزوغي ، مكانة ابن خلدون في الفكر العربي المعاصر ، المجلة العربية للثقافة (عدد خاص عن ابن خلدون)،2006 ، ص ص 13-14..

[22] زينب الخضيري ، فلسفة التاريخ عند ابن خلدون ، دار الثقافة للنشر والتوزيع،القاهرة ،2007 ، ص 34.

[23] أرنولد جوزف توينبي (Arnold J. Toynbee) مؤرخ بريطاني ولد في 14 أفـريل 1889 في لندن وتوفي في 22 أكتوبر 1975. أهم أعماله موسوعة دراسة للتاريخ، وهو من أشهر المؤرخين في القرن العشرين .

* أرنولد توينبي، مؤرخ و فيلسوف و دارس الحضارات 1889م – 1975 م

[24] أرنولد توينبي ، مختصر في دراسة التاريخ ،ط2، ترجمة محمد فؤاد شبل ، لجنة التأليف و الترجمة ، القاهرة ، 1960 ،ج1، صص 233-234.

[25] محمد عابد الجابري ، فكر ابن خلدون العصبية و الدولة ، المرجع السابق ، ص 30.

[26] أحمد محمود صبحي ، في فلسفة التاريخ ،ط1 ، دراسة النهضة العربية و للطباعة و النشر ،بيروت 1994،صص 133 - 134.

[27] جورج سارتون (بالإنجليزية: George Sarton) صيدلي ومؤرخ بلجيكي يعتبر مؤسس علم تاريخ العلوم جورج ألفريد ليون سارتون ،ولد بمدينة خنت ببلجيكا في 31 أوت 1884، تخرج من الجامعة في عام 1906 وبعد سنتين استحق ميدالية ذهبية لبحث قدمه في الكيمياء؛ استلم شهادة الدكتوراة الفلسفية في الرياضيات من جامعة (Ghent) في 1911؛ وهو متخصص في العلوم الطبيعية والرياضيات.توفي سنة1956م.
[28] نفسه،ص 133 ،ص134.

[29] عالم إجتماع فرنسي ولد بتونس سنة 1896 وتوفي سنة 1980 ، له كتاب بعنوان" غبن خلدون وفلسفته الإجتماعية".
[30] زينب الخضيري ،فلسفة التاريخ عند ابن خلدون ،المرجع السابق، ص 17.

[31] روبيرت فلينت (Robert Flint) (14 مارس 1838 – 25 نوفمبر 1910) هو عالم دين وفيلسوف إسكتلندي، وكانت له كذلك عدة مساهمات في علم الاجتماع ،له كتاب هام بعنوان" الفلسفة التاريخية".
[32] أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ،المرجع السابق ، ص 135.

[33] ساطع بن محمد هلال الحصري، (1879- 1968) ُفكر وكاتب سوري من حلب كان أحد رموز القومية العربية في العصر الحديث. أسس وزارة المعارف السورية عام 1919 ووضع المناهج التربوية في سورية والعراق، كما شارك في تأسيس كلية الحقوق في جامعة بغداد وكان مستشاراً لدى جامعة الدول العربية ، من ابرز كتبه:"دراسات عن مقدمة ابن خلدون".
[34] جميل صليبا (1902 - 1976) كاتب وفيلسوف لبناني ، أحد ثلاثة شاميين عرفوا بتفوقهم العلمي في العصر الحديث، وبجهودهم الكبيرة في خدمة العلم والتراث العلمي العربي. اهتم الثلاثة إلى حد كبير بإماطة اللثام عن إسهامات المسلمين – والعرب منهم – في تقدم البشرية، والقيام على العلوم المختلفة قروناً كثيرة، ابتداءً من القرن الثامن الميلادي وإلى أواخر القرن السابع عشر، من أهم كتبه :"تاريخ الفلسفة العربية " و" المعجم الفلسفي العربي".
[35] جميل صليبا، تاريخ الفلسفة العربية، الشركة العالمية للكتاب ش م ل، ط3 ، الإسكندرية، 1995م ، 1415هـ ، ص 642.

[36] المرجع نفسه ، ص 643.

[37] ساطع الحصري، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ،المرجع السابق ، ص 194، ص 195.

[38] جميل صليبا، المرجع السابق، ص 643.

[39] نفسه، ص644.